

سيكولوجية السلوك الإجرامي للأحداث الجانحين

د/سامية شينار جامعة باتنة 1
أ/آية بولحبال جامعة باتنة 1

ملخص:

يعد السلوك الاجرامي أحد أكثر المظاهر والسلوكيات الانحرافية التي سعى العلماء لفهمه وتقصي أسبابه منذ زمن بعيد، ذلك أنه سلوك مهدد للفرد وشخصيته وهادم للبناء الاجتماعي ككل. وتزداد خطورة هذا السلوك إذا ما ظهرت ملامحه في سن مبكرة لدى الأفراد أو ما يسمون بالأحداث فيظهر السلوك الاجرامي لديهم في شكله الأولي كجنوح والذي إن لم يتلق الردع والتكفل تطور أكثر ليصبح سلوكا اجراميا باحتراف. ونسعى من خلال هذا المقال أن نسلط الضوء على هذا السلوك وخصائصه عند هذه الفئة الخاصة مع تقديم رؤية شاملة حوله ثم متخصصة في الجانب النفسي الأمر الذي يساعد في فهمه وبالتالي يساعد في تحديد مسبباته للحد دون تفاقمه.

الكلمات المفتاحية: السلوك الاجرامي - الأحداث - الجنوح.

Résumé:

Le comportement déviant est l'un des sujets les plus importants que les chercheurs ont tenté d'analyser en enquêtant sur ses causes depuis longtemps menacé par l'individu et son caractère, parce qu'il devient un danger pour le comportement de l'individu lui-même et aussi pour son environnement social.

La gravité de ce comportement augmente surtout si ses traits sont apparus à un âge précoce chez les mineurs, Ce qui est appelé la délinquance juvénile.

On cherche dans cet article à comprendre ce type de comportement criminel chez les juvéniles avec une manière plus approfondie et plus scientifique.

Mots-clés: comportement criminel- juvéniles - délinquance

مقدمة

إن السلوك الإنساني هو ما يحدد طبيعة الاستجابات والعلاقات القائمة بين الأفراد، وكلما اتسم هذا السلوك بالمرونة والسلاسة والوضوح على حسب ما تتطلبه المواقف، دل ذلك على التوازن النفسي والاجتماعي سواء للفرد أو لمجتمعه، أما إذا ما لمسنا تصلبا في السلوك أو استجابة إما أكبر حجما مما يتطلبه الموقف، أو أنها استجابة مخالفة تماما لما من المفروض أن تكون، بحيث أن هذا السلوك يصبح سلوكا إجراميا مؤذيا للفرد نفسه وللمحيطين به ولمجتمعه ككل، ندرك هنا أن هناك خطبا ما وانحرافا عن السلوك السوي، ولا بد من البحث في سيكولوجية هذا السلوك الإجرامي والبحث عن أسباب هذا الانحراف من السواء إلى الإجراء خاصة إذا ما بدأنا استشعاره لدى الأحداث، الذين يوظفون كل قدراتهم بطريقة لا سوية ضمن مجال الانحراف والإجراء، فما هي طبيعة السلوك وكيف يتحول إلى سلوك إجرامي يؤثر على الحدث ويؤدي إلى الجنوح؟

1- خصائص السلوك وأبعاده:

يعرف السلوك الإنساني بأنه كل الأفعال و النشاطات التي تصدر عن الفرد سواء كانت ظاهرة أم غير ظاهرة، و يعرفه آخرون بأنه أب نشاط صادر عن الإنسان سواء كانت أفعالا يمكن ملاحظتها و قياسها، كالنشاط الفيزيولوجي و الحركي، أو

نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ، كالتفكير و التذكر و الوسواس و غيرها. فالسلوك ليس شيئاً ثابتاً، ولكنه يتغير، و هو لا يحدث في الفراغ و إنما في بيئة ما، وقد يحدث بصورة لا إرادية و على نحو معين مثل التنفس، أو يحدث بصورة إرادية، و عندها يكون بشكل مقصود و واعي، و هذا السلوك يمكن تعلمه ويتأثر بعوامل البيئة و المحيط الذي يعيش فيه الفرد . و بالحديث عن أنواع السلوك يجدر بنا ذكر نوعين أساسيين :

أ_ السلوك الاستجابي : و هو السلوك الذي تتحكم به المثيرات التي تسبقه، فبمجرد حدوث المثير يحدث السلوك، فالحليب في فم الطفل يؤدي إلى إفراز اللعاب، ونزول دموع العين عند تقطيع شرائح البصل وهكذا، وتسمى المثيرات التي تسبق السلوكات بالمثيرات القبلية.

إن السلوك الاستجابي لا يتأثر بالمثيرات التي تتبعه وهو اقرب ما يكون من السلوك الارادي، فإذا وضع الإنسان يده في الماء الساخن فانه يسحبها أوتوماتيكياً، فهذا السلوك ثابت لا يتغير، وان الذي يتغير هو المثيرات التي تضبط هذا السلوك .
ب_ السلوك الإجرامي : هو السلوك الذي يتحدد بفعل العوامل البيئية مثل العوامل الاقتصادية و الاجتماعية و التربوية والدينية و الجغرافية وغيرها .

كما أن السلوك الإجرامي محكوم بنتائجه، فالمثيرات البعيدة قد تضعف السلوك الإجرامي و قد تقويه وقد لا يكون لها أي تأثير يذكر، ونستطيع القول أن السلوك الإجرامي اقرب ما يكون من السلوك الإرادي. (عبد الرحمن عدس، 1998، 28) ويتميز السلوك بمجموعة خصائص هي:

أ- القابلية للتنبؤ : إن السلوك الإنساني ليس ظاهرة عفوية، إنما يخضع لنظام معين و إذا استطاع العلم تحديد عناصر ومكونات هذا النظام فانه يصبح بالإمكان التنبؤ به، ويعتقد معدلي السلوك أن البيئة المتمثلة في الظروف المادية، والاجتماعية الماضية و الحالية للشخص بناء على معرفتنا بظروفه البيئية السابقة و الحالية، ولما ازدادت معرفتنا بتلك الظروف بشكل موضوعي، كانت قدرتنا على التنبؤ بالسلوك اكبر .

ب- القابلية لضبط : أن الضبط في ميدان تعديل السلوك عادة ما يشمل تنظيم أو إعادة تنظيم لأحداث البيئة تسبق السلوك أو تحدث بعده، كما أن الضبط الذاتي في مجال تعديل السلوك يعني ضبط الشخص لذاته باستخدام المبادئ والقوانين التي يستخدمها لضبط الأشخاص الآخرين .

ت- القابلية للقياس : بما أن السلوك الإنساني معقد لان جزء منه ظاهر و قابل للملاحظة والقياس، والجزء الآخر غير ظاهر ولا يمكن قياسه بشكل مباشر لذلك فان العلماء لم يتفقوا على نظرية واحدة لتفسير السلوك الإنساني، وعلى الرغم من ذلك فان العلم لا يكون علمياً دون تحليل و قياس الظواهر المراد دراستها، وعليه فقد طور علماء النفس أساليب مباشرة لقياس السلوك، كالملاحظة و قوائم التقدير والشطب وأساليب غير مباشرة كاختبارات الذكاء و اختبارات الشخصية، و إذا تعذر قياس السلوك بشكل مباشر فمن الممكن قياسه بالاستدلال عليه من مظاهره المختلفة . (أحمد محروس الشناوي، 1994)

كما أنه يتميز بأبعاد هي:

أ- البعد البشري: أن السلوك الإنساني سلوك بشري صادر عن قوة عاقلة ناشطة وفاعلة في معظم الأحيان وهو صادر عن جهاز عصبي.

ب- البعد المكاني: أن السلوك البشري يحدث في مكان معين، فقد يحدث في غرفة الصف مثلاً.

ت- البعد الزمني: أن السلوك البشري يحدث في وقت معين قد يكون صباحاً أو يستغرق وقتاً طويلاً أو ثواني معدودة.

ث- البعد الأخلاقي: أن يعتمد المربي القيم الأخلاقية في تعديل السلوك ولا يلجأ إلى استخدام العقاب النفسي أو الجسدي أو الجرح أو الإيذاء للطالب الذي يتعامل معه.

ج- **البعد الاجتماعي:** أن السلوك يتأثر بالقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد المعمول بها في المجتمع وهو الذي يحكم على السلوك على أنه مناسب أو غير مناسب، شاذ أو غير شاذ، فالسلوكيات قد تكون مقبولة في مجتمع ومرفوضة في مجتمع آخر. (سهام أبو عطية، 1997)

2- التناول السيكولوجي للسلوك الإجرامي:

ينظر علماء النفس إلى السلوك الإجرامي على أنه سلوك مضاد للمجتمع، وبالتالي فهو نوع من السلوك الشاذ المرضي يحتاج إلى علاج كما تحتاج الأمراض العقلية إلى العلاج والرعاية. وبعبارة أخرى فإن شخصية المجرم لا تختلف في جوهرها وفي تكوينها النفسي الأساسي عن شخصية المريض نفسياً، كما أن كل فعل إجرامي ما هو إلا دلالة وتعبير عن صراعات نفسية تدفع صاحبها إلى الوقوع في الجريمة.

برت Burt: يرى برت أن السلوك الإجرامي ما هي إلا انطلاق للدوافع انطلاقاً حراً لا يعوقه عائق، ويرى أنه من الممكن النظر إلى الجرائم المختلفة كالسرقة والاعتداءات والجرائم الجنسية وغيرها أنها تعبيرات غريزية.

الكسندر Alexander: ينظر إلى السلوك الإجرامي على أنه يكون نتيجة للاضطرابات في قوى الشخصية الثلاثة (الهو، الأنا، الأنا الأعلى) في تكيفها مع القانون الأخلاقي السائد في المجتمع، كما أن الاضطرابات في البيئة تكون بمثابة عوامل لخلق الشخصية اللاأخلاقية، ومن ثم فالبيئات الإجرامية تنتج أكثر المجرمين (توفيق عبد المنعم توفيق، 1994، 19) وهنا لا بد من التفريق بين السلوك الإجرامي وبعض المفاهيم القريبة منه:

أ- **السلوك الإجرامي:** هو أي سلوك مضاد للمجتمع، وموجه ضد المصلحة العامة، أو هو شكل من أشكال مخالفة المعايير الأخلاقية التي يرضيها مجتمع معين، و يعاقب عليها القانون، وباختصار إذا كانت الجريمة هي مسمى الفعل الإجرامي فإن السلوك الإجرامي هو ممارسة لهذا الفعل (محمد شحاتة وآخرون، دس، 41)

و يقاس السلوك الإجرامي بالدرجة التي يحصل عليها أفراد عينة البحث على مقياس كارل سون النفسي المعد لقياس السلوك الإجرامي. (صالح بن إبراهيم الصنيع، 1998، 37)

ب- **الانحراف:** يقصد به عدم مسايرة أو مجارات المعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع أو هو الابتعاد أو الاختلاف عن خط معين أو معيار محكي.

ت- **الجنوح:** أي انتهاكات للقانون يقوم بها الصغار أو الأحداث و تعد اقل خطورة و عادة ما يستخدم مفهوم الجنوح لإشارة إلى جنوح الأحداث على وجه التحديد ورغم تحديد مفهوم هذه التعاريف فإنه يحدث خلط كبير في استخدامها .

ث- **الشدوذ:** هو انحراف عن ما هو عادي أو البعد مما هو سري، ويعد الشذوذ حالة مرضية تمثل خطراً على الفرد نفسه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه، وتطلب التدخل لحماية الفرد وحماية المجتمع منه، والشخص الشاذ هو الذي ينحرف سلوكه عن سلوك الشخص العادي في تفكيره و مشاعره ونشاطه ويكون غير سعيد، و غير متوافق شخصياً وانفعالياً و اجتماعياً .

و يمثل هذا الانحراف في الابتعاد عن نماذج السلوك المتوقعة، أو السلوك الذي يتعارض مع القيم السائدة في المجتمع، أو السلوك الذي لا يهدف إلى تحقيق غاية معينة.

ج- **الجريمة المنظمة:** و هي السلوك الإجرامي المضاد للمجتمع الذي يقوم به أعضاء تنظيم إجرامي معين، يمارس أنشطة خارجة عن القانون، ويتم في إطار هذه التنظيمات الإجرامية: تقسيم العمل، تحديد الأدوار، ووضع تسلسل للمكانة والسلطة . (محمد شحاتة وآخرون، 1994، 41-43)

3- جنوح الأحداث كشكل أولي للسلوك الإجرامي:

الجنوح هو تعبير يعني عادة انتهاك الأحداث (الصبية الذين لم يتجاوزوا سن الرشد الجنائي) للقانون، ويشمل تلك الأفعال التي تعتبر جرائم إذا قام بارتكابها البالغون، وأيضاً تلك الأفعال التي تعتبر غير الأوبئة قانونية فقط للأحداث دون سن الرشد الجنائي، مثل شراء المشروبات الكحولية في البلاد التي لا تمنع قوانينها تعاطي المشروبات الكحولية للكبار. ويستخدم معظم الناس تعبير جنوح الأحداث ليشمل أي شيء يقوم بها الأحداث يتعارض مع معايير المجتمع وقيمه المتعارف عليها، بغض النظر عن كونه قانونياً أو غير قانوني. (محمد مصطفى، 2008)

والأحداث الجانحون هم أشخاص رفضوا الانتماء الاجتماعي، وتكروا للقيم الأخلاقية والثقافية التي أقرها المجتمع خلال سياقه التاريخي، ويتميز هؤلاء بالفقر الوجداني، وعقم الضمير حيث لا يشعرون بالذنب على ما يقومون به من مخالفات وجرائم بحق الآخرين، تفقد لهم اللذة في كل ما يفعلون ويتميزون بالكذب ولا يشعرون بالخجل. (ناصر ميزاب، 2005، 37)

ومشكلة جنوح الأحداث ظاهرة عرفت المجتمعات البشرية قديماً وحديثاً، ورغم التباين في المستوى الاقتصادي والاجتماعي للدول، إلا أنها متفشية في البلاد النامية مثل البلاد المتقدمة (جان شازال، 1962، 06). ومع ذلك فإن كل بلاد تقر محددات السلوك الجانح لديها وفقاً لتشريعاتها وقوانينها الاجتماعية الخاصة بها، وبالتالي يختلف السلوك الجانح باختلاف المجتمع الذي يقع فيه هذا السلوك، فما يعد سلوكاً جانحاً أو منحرفاً في مجتمع ما، قد لا يعد كذلك في مجتمع آخر. وبوجه عام يمكن الاحتكام إلى ثلاث محكات رئيسية لا بد من توافرها لنقول أن السلوك جانح، وهي: (محمد الهمشري وآخرون، 1997، 11)

- مدى توافر شروط الخطورة في السلوك.

- مدى استمرار السلوك وتكراره.

- مدى وجود الاتجاه العدواني في السلوك نحو المجتمع.

وعلى هذا فلا يمكننا الحكم على سلوك ما بأنه جانح ما لم تتوافر فيه الخطورة على الفرد وعلى المجتمع، وأن يكون هذا السلوك متكرر ومستمر على مدى زمني واضح.

4- النظرية المفسرة السلوك الإجرامي للجانحين:

1 - النظريات البيولوجية :

كما هو معروف انه ليس كل الجرائم متشابهة كما هو الأمر بالنسبة للمجرمين، فهناك فروق كبيرة بين اللص المحترف، وبين الشخص الذي أقدم على ارتكاب جريمة قتل تحت تأثير ظروف انفعالية شديدة الوطأة. وبسبب هذه الفروق وأسباب أخرى قدمت تفسيرات متعددة للسلوك الإجرامي. فلا توجد نظرية واحدة يمكن تطبيقها على كل الأفعال غير المشروعة أو الخارجة على القانون، وعلى كل المجرمين، لذلك كان من المجدي تقديم لمحة عن حدود ذلك نظرية في تفسيرها للسلوك الاجرامي:

1-1- النظرية العضوية البيولوجية : و التي يعد رائدها الطبيب الايطالي سيزار لمبروزو، ويشمل تفسيره في اعتقادات صاغها كالتالي :

1- يؤلف نسبة من المجرمين نمطا ولاديا إجراميا، فالمجرمون اقل ارتقاء من غير الجرمين، ولديهم قصور في الجوانب الجسمية، وأرجع تفسيره هذا إلى أوجه الشبه التي توجد بين المجرمين والإنسان البدائي والمرض العقلي والأشخاص الذين يعانون من النوبات الصرعية .

2- إن المجرمين يمكن تمييزهم عن غيرهم من الأشخاص على أساس مختلف جوانب الشذوذ التشريحية مثل صغر حجم الجمجمة، و كبر الأذنين، ضيق الجبهة وانحدارها ...

3- ليست هذه السمات الشاذة أو الوصمات هي سبب الجريمة في حد ذاتها لكنها تكشف عن الشخصية التي لديها الاستعداد الاجرامي.

4- لا يستطيع الفرد الذي ينتمي إلى النمط الإجرامي أن يفلت من لارتكاب الجريمة أو السلوك الجانح إلا إذا تهيأت أمامه الفرصة ليعيش في ظروف خاصة و مواتية .

1-2- **نظرية شيلدون:** لاحظ شيلدون أن هناك علاقة بين بناء الجسم و سلوك الإنسان بمعنى أن بناء الجسم يحدد الوظيفة أو السلوك ,و أن الفروق الفردية في الشخصية و السلوك تتحدد أساسا بالفروق في الوظائف الفيزيولوجية .و بناءا على ذلك افترض وجود ثلاث أنماط أساسية لبناء الجسم :الأول هو النمط البطني الذي يتميز صاحبه بضخامة الأحشاء و السمنة المفرطة، والنمط الثاني :هو النمط العضلي و يتسم صاحبه بالخشونة، أما النمط الثالث فهو النمط النحيل ويتميز صاحبه بضعف نمو كل من الجهاز الحشوي و الجهاز العضلي العظمي، فهو يتسم بال نحافة و طول القامة و انخفاض سطح الصدر، كما قام شيلدون بمقابلة هذه البناءات الجسمية بثلاث أنماط مزاجية كالتالي :

النمط الأول (الحشوي البطني) يمتاز بالتساهل و الميل للراحة و الشراهة و الوجود مع الآخرين، و **النمط الثاني (الجسمي)** و يتميز بالنشاط العضلي و القوة الجسمية و إظهار الحيوية، أما النمط الثالث (النحيل) فيتميز بغلبة كبح جماح النفس و الميل إلى إخفاء المشاعر الداخلية و البعد عن العلاقات الاجتماعية .

و من خلال المقارنة بين 200(مائتي) جانح ومثلهم من غير الجانحين استخلص شيلدون أن أصحاب النمط العضلي أكثر استعدادا لإظهار بعض أشكال السلوك الإجرامي نظرا لاتسامهم بالعوانية، ونقص قدرتهم علي ضبط السلوك أو التحكم فيه، وهذا يؤدي إلى زيادة درجة الإجرام لديهم .

_ و لم يخلص شيلدون إلى أن هذا النمط كاف الارتكاب السلوك الإجرامي كما انه لم يهمل آثار البيئة كأحد التفسيرات السلوك الإجرامي ولكنه رغب في أن ينمي الاعتراف بدور المحددات البيولوجية التي شعر بإهمال علماء الإجرام لها في الفترة التي كان يعمل خلالها .

1-3- **نظرية الاضطرابات الفيزيولوجية :** يفترض بعض الباحثين أن بعض الاضطرابات الفيزيولوجية التي توجد لدى بعض الأشخاص كزيادة إفرازات الغدد الصماء أو نقصانها أو الاضطراب في عملية التمثيل الغذائي (Métabolisme) من شأنها أن تؤدي إلى السلوك الإجرامي أو الجنوح، فالعلاقة بين مثل هذه الاضطرابات الفيزيولوجية و السلوك الإجرامي علاقة ذات اتجاه واحد، يتجه مسارها بمقتضى قاعدة السبب و النتيجة أي انعدام التوازن في العملية الفيزيولوجية لدى الفرد يؤدي إلى إفساد دوافعه و سلوكه، ومن ثم يسبب ارتكاب الجرائم، كذلك فان اضطرابات الغدد الصماء تؤدي إلى انحرافات عقلية خطيرة، كما تؤدي إلى خلل في مختلف جوانب شخصية الفرد و انفعاله و سلوكه، ومن ثم يتعرض للانزلاق في الانحراف و الوقوع في الجرائم.

2- النظريات الاجتماعية :

قامت محاولات نظرية كثيرة في تفسير السلوك الإجرامي و منها محاولة تفسير الظاهرة بردها إلى اثر البيئة الجغرافية لاعتبار انعكاسها على المناخ أو الموقع، وهناك من ربط السلوك الإجرامي بالتكوين البيولوجي، ومن العلماء من أوقف تفسير هذا السلوك على الأمراض العقلية أو اضطرابات الشخصية، والبعض الآخر اعتبره نتاجا للظروف الاجتماعية أو التنظيم الاجتماعي ولكن خدمة لغرض هذا العرض في تفسير السلوك الإجرامي فقد تم اللجوء إلى بعض النظريات نذكر منها :

2-1- **نظرية الاختلاط التفاضلي (Association différent) :** تعتبر هذه النظرية بحق أول نظرية اجتماعية ذات منهج علمي واضح وفرضيات علمية محددة في مجال تفسير السلوكيين الإجرامي والجانح كسلوك اجتماعي يمكن أن يتعلمه الفرد كأبي سلوك اجتماعي آخر، وهي بلا شك تطوير منهجي لشرح كيفية انتقال السلوك الإجرامي عن طريق التعلم من الآخرين أو من خلال الاختلاط بالمجرمين و تعلم الأنماط الإجرامية والبواعث والمبررات التي تشجع الجريمة من خلال علاقات شخصية وثيقة وحميمة .

و قد أظهرت أولى الفرضيات هذه النظرية في كتاب "مبادئ علم الإجرام" للأستاذ الأمريكي Edwin Satherland منذ عام 1939 ويمكننا إيجاز أهم الفرضيات الأساسية التي تقوم عليها على النحو التالي:

1- أن السلوك الإجرامي سلوك غير موروث يكتسبه الإنسان بالتعلم وهذا يفيد بان الشخص لا يصبح مجرماً بدون خبرة إجرامية سابقة كالذي لا يمكن أن يصبح ميكانيكا دون معرفة مسبقة وتدريب كافي في علم الميكانيك

2- يتعلم الشخص السلوك الإجرامي عن طريق التعامل مع أشخاص آخرين من خلال عملية التواصل لفظي يجرى بالكلام غالباً أو بالإشارة أو الإيماء أحياناً .

3- **الجزء** الأساسي في تعلم السلوك الإجرامي يحدث في إطار علاقات أولية ذات طبيعة شخصية حميمة وعلاقة ودية وثيقة , وهذا يعني أن أجهزة الاتصال غير الشخصية كالسمنة , والصحف تلعب دوراً ضئيلاً في نشر السلوك الإجرامي.

4- حينما يتعلم السلوك الإجرامي فان التعلم يضمن:

(أ) في ارتكاب الجريمة الذي يكون أحياناً في منتهى التعقيد و في بعض الأحيان في منتهى البساطة

(ب) الاتجاهات الخاصة للدوافع و الميول و التصرف و تبرير التصرف .

5- الاتجاه الخاص للدوافع و الميول يتم تعلمه من تعاريف النصوص القانونية سواء كانت مناسبة أو غير مناسبة .

6- ينحرف الشخص عندما ترجح عنده كفة الآراء التي تحبذ انتهاك القوانين على كفة الآراء التي تحبذ عدم انتهاكها، و هذا هو مبدأ العلاقة التفاضلية فهي تشير إلى كل من العلاقات الإجرامية و العلاقات المقاومة للإجرام و التي يجب إن تعمل مع القوى المكافحة .

7- قد تختلف العلاقات التفاضلية في تكرارها و استمرارها وأسبقيتها، تعني الأسبقية أن أنماط السلوك المختلفة وكذا المفاهيم و المواقف التي يعيشها الفرد في السنوات الأولى من عمره غالباً ما ترسخ لديه فيصبح ملتزماً بها مدى الحياة .

8- عملية تعلم السلوك الإجرامي عن طريق الاتصال بالنماذج الإجرامية و المعادية للإجرام تتضمن كل الآليات التي يتضمنها أي تعلم آخر .

9- مع أن السلوك الإجرامي يعد تعبيراً عن حاجات و قيم عامة فان هذه الحاجات و القيم العامة لا تفسر السلوك الإجرامي، لان السلوك غير الإجرامي هو أيضاً تعبير عن نفس الحاجات و القيم .

و طبقاً للمسلمات السابقة فان السلوك الإجرامي يتم اكتسابه من خلال الاقتتان بالمجرمين أو بمعنى آخر، أن ذلك يتطلب أن تتم التنشئة الاجتماعية في إطار نسق من القيم يوصل إلى انتهاك القانون، وهكذا فان المجرم هو الذي يوجد لديه استعداد الكامن للإجرام، وإذا كانت التعريفات الخاصة بالسلوك الإجرامي مقبولة أكثر من التعريفات غير المحبذة، فمن المحتمل أن يرتكب شخص أفعالاً إجرامية .

ولعل من ابرز الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية أنها تستخدم الكثير من المتغيرات و العمليات التي يتعذر قياسها علمياً أو يتعذر اختبارها تجريبياً كعملية المخالطة ذاتها و مفهوم الأولوية و مفهوم العمق و مفهوم التكرار و مفهوم العلاقة الشخصية، و قد حاول "Sadernald" مواجهة هذا النقد بالقول بان نظريته لا تقدم تفسيراً كاملاً لكل جانب من جوانب عملية انتقال السلوك الإجرامي من مخالطة المجرمين لان مثل هذه العملية من العمليات النفسية و الاجتماعية المعقدة غاية في التعقيد. و لكن هذه النظرية التي مضى اليوم على ظهورها نصف قرن من السنين مازالت من أهم النظريات العلمية في تفسير السلوك الإجرامي .

2-2- **نظرية الوشم** : ظهرت في الخمسينات من القرن العشرين مدرسة جديدة في علم الاجتماع، و قد فسرت هذه المدرسة السلوك المنحرف من خلال وجهة نظرها التي تقول أن السلوك يأتي نتيجة للأحكام التي يصدرها المجتمع بشكل رسمي على سلوك معين و قد اعتمدت هذه النظرية في تفسير السلوك الإجرامي على 3 ركائز:

1_ أهمية الوشم في حياة الأفراد كأن تصف الشخص بالإدمان أو التعاطي .

2_ التطور التاريخي للوشم حيث ينصب التركيز على كيفية ظهور هذا التشخيص في حياة الأفراد و كيف ظهرت القوانين و المؤسسات للتصدي لمثل هذا السلوك المنحرف الذي يخالف المعايير الاجتماعية .
3_ النتائج المترتبة على وشم الأفراد بالانحراف .

و يلخص Edwin Lemert الفرضيات التي قامت عليها مجموعة نظريات الوشم كما يلي :

1_ هناك نموذج من السلوك الإنساني و مجموعة من الانحرافات عن هذه النماذج و التي وتوصف في مواقف محددة و زمان ووقت محددين .

2_ إن الانحرافات السلوكية هي وظائف للصراع الثقافي و الذي يوضح أو يعبر عنه من خلال التنظيمات الاجتماعية

3_ هناك ردود أفعال اجتماعية للانحراف تتدرج من الموافقة بشدة إلى مدة الموافقة بشدة .

5_ هناك أنماط من التحديد و الحرية في المشاركة الاجتماعية للمنحرفين و التي تتعلق مباشرة بمكانتهم و أدوارهم و تعريفاتهم لذواتهم .

6_ يختلف المنحرفون فرديا من خلال تعرضهم لرد الفعل الاجتماعي بسبب أن الإنسان مخلوق ديناميكي، أن هناك بنية معينة لكل شخصية، وكمثلها تعرضت هذه النظرية لمجموعة من الانتقادات :

_ إهمال العوامل الاقتصادية و الاجتماعية في تفسير السلوك الإجرامي .

_ الحساسية الاجتماعية أي أن الشخص المنحرف يقوم بارتكاب أفعال كثيرة لتغطية انحرافه الأول، لشعوره بالخزي و العار .

_ عدم قدرة نظرية الوشم على تفسير الانحراف الأول، إلى الأسباب الدافعة للسلوك الإجرامي أول مرة .

2-3- _ النظرية الاقتصادية : تؤكد هذه النظرية أن الظروف الاقتصادية السيئة تؤدي إلى مشاكل اجتماعية وشخصية كثيرة، فسوء التغذية يؤثر على مدى سلامة الفرد من الوجهة العضوية و النفسية، كما أن تلك الظروف كثيرا ما تدفع المرء إلى العمل الأمر الذي ينعكس بدوره على مدى إشرافها و توجيهها لأبنائها و يظهر ذلك في سلوك الأطفال مستقبلا و قدرتهم على التكيف مع المجتمع على الوجه الصحيح .

كما يرتبط بظاهرة الجريمة من الناحية الاقتصادية مفهوم البطالة ، و البطالة هي التوقف عن العمل عن غير رغبة الفرد وهي من أكثر المشاكل الاجتماعية تأثيرا في ظاهرة السلوك الإجرامي، و الواقع أن البطالة و بصفة خاصة تلك التي تدوم لفترة طويلة من الوقت و لها نتائج جسيمة إذا كان الغرد عائلا لأسرة، و منها الآثار النفسية و الاجتماعية التي تتعلق بالأسرة التي يعولها هذا الفرد فكثيرا ما تؤدي البطالة إلى الطلاق أو "التصدع الأسري"، وفي جانب آخر فان العالم فحص نتائج الدراسات حيث تشير بوجه عام إلى زيادة معدلات الانحراف و الجريمة بين الأفراد الذين ينتمون إلى طبقات اقتصادية فقيرة وهذا يشير بشكل خاص إلى حالة المجرمين الذين تناولتهم هذه الدراسة، أي الأشخاص الذين ارتكبوا الجريمة و أدينوا بها و وصلوا إلى المؤسسات الإصلاحية العقابية المختلفة ، كما لاحظ العالم أن هذه الدراسات تشير بوجه خاص أيضا إلى بطالة هؤلاء المنحرفين قبل ارتكاب الانحراف و الإجرام أو عدم كفاية الدخل لهم و لأسرهم . (محمود عبد الله خوالدة، 2005، 85)

2-4- نظرية الفرص الفارقة : صاغ نظرية الفرص الفارقة كلوارد (Clouard) و اوهلن (Ohlin) في كتابهما "الجروح و الفرص" حيث افترض الباحثان لن الأشخاص الذين ينتمون إلى ثقافة الطبقة العاملة في المجتمع الأمريكي يريدون عادة أن يحققوا أهدافهم بنجاح من خلال الطرق و الأساليب الشرعية المتاحة في المجتمع، لكنهم يواجهون بعقبات شديدة، وذلك لان المجتمع ينكر لهم فرص تحقيق النجاح .

و تشمل هذه الفروق الفردية الثقافية و اللغوية والعجز المادي وعدم وجود فرصة للاقتراب من المصادر الحيوية لحركة الصعود أو التقدم إلى الأعلى ، و حينما تواجه الأساليب أو الطرق الشرعية لانجاز الأهداف ببعض العقبات فإنه ينتج عن ذلك إحباط شديد يجعل بعض الأشخاص معرضين لضغوط قهرية للجوء إلى الطرق غير الشرعية و من ثم تظهر الجرائم .

2-5- نظرية التفكك الاجتماعي : التفكك الاجتماعي مفهوم متنوع يشمل ظواهر اجتماعية و ثقافية عديدة، فهو يشير إلى التناقض و صراع المعايير الثقافية و ضعف اثر قواعد السلوك و معاييرها، و صراع الأدوار الاجتماعية، انعدام التقاء الوسائل التي يجيزها المجتمع مع غايات الثقافة فيه، و أخيرا إلى انهيار الجماعات و سوء أداءها لوظائفها. و معنى ذلك أن هناك شكلين أساسيين للتفكك الاجتماعي :

- 1- **الشكل الأول :** اضطراب البناء الاجتماعي الذي يشمل الفساد أو الخلل الذي يطرأ على العلاقات الوثيقة الأساسية القائمة بين الأفراد و الجماعات و المؤسسات.
- 2- **الشكل الثاني :** قصور الأداء الوظيفي و يشمل كل ما يعمل على إفساد الكفاية الوظيفية أو الفشل في القيام ببعض المتطلبات الوظيفية .

2-6- نظرية الصراع الثقافي: ينظر العديد من علماء الاجتماع إلى الصراع الثقافي على انه احد أبعاد التفكك الاجتماعي، ذات الدلالة في تفسير السلوك الإجرامي، لذلك كان الاتجاه إلى تحديد دلالاته التفسيرية بصورة منفصلة . و يأخذ الصراع الثقافي صورا عديدة منها :الصراع بين الطبقات الاجتماعية على مستوى المجتمع ,والصراع بين قيم بعض الجماعات . و قد أوضح "تيتدل " أن صراع القيم و المعايير الذي يؤدي إلى السلوك الإجرامي يرجع إلى حقيقة أن مختلف الجماعات العرقية أو العنصرية أو الطبقة تشترك أو تتقاسم أنماطا ثقافية من السلوك تختلف مع القوانين السائدة ضد أشكال معينة من الجرائم ,وهذه الأشكال غير مشروعة من السلوك الإجرامي تندعم من خلال معايير الثقافة الفرعية.

3- النظريات النفسية : يشير مسمي النظريات النفسية إلى مجموعة متعددة من المناحي و المفاهيم النظرية التي تشترك جميعها في اعتقاد أساسي مؤداه أن السلوك الإجرامي محصلة أو نتاج لبعض خصال الشخصية الفريدة للمجرم، و من هذه النظريات :

3-1- نظرية التفكير الإجرامي : لصاحبها (يوشلسون _ سامينوف) حيث انطلقا من اعتقادهما بقصور التفسيرات التقليدية للسلوك الإجرامي وحددا فرضهما الأساسي في أن المجرمين لديهم طريقة مختلفة للتفكير .

فالمجرمون تحركهم مجموعة من الأنماط المعرفية التي تبدو بالنسبة لهم منطقية و متسقة في بناءهم المعرفي، و يرى الباحثان أن المجرمين الذين دروسهم، لديهم درجة عالية من التحكم في أفعالهم، مفضلين ذلك التفسير على الاعتقاد بأنهم مرضى أو ضحايا للبيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها .فهؤلاء المجرمون يحاولون توجيه اللوم على أفعالهم الخاصة إلى الآخرين .فهم كذابون متمكنون، حيث أنهم يستخدمون الكلمات من اجل الضبط و التحكم و ليس لأجل تمثيل الواقع المحيط بهم .

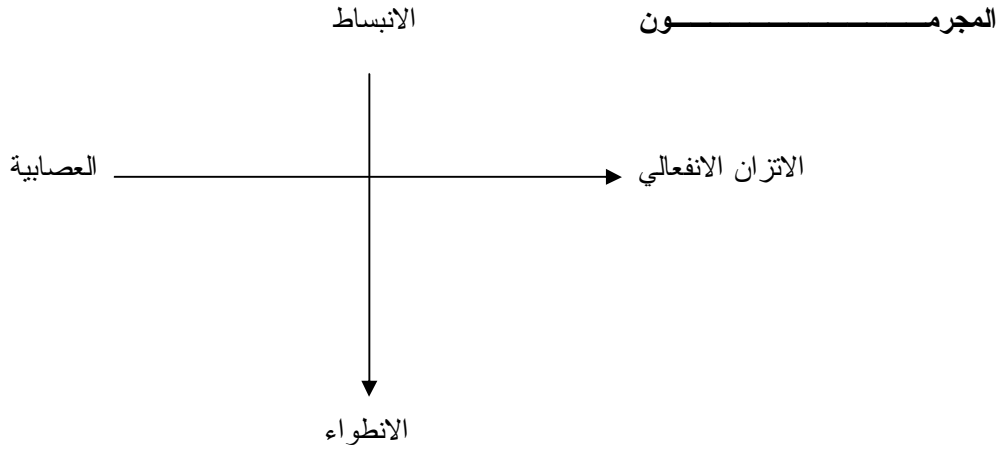
3-2- نظرية اضطراب الشخصية : يميل العديد من المنظرين إلى تفسير سبب الجريمة على انه احد أشكال اضطراب شخصية المجرم، وهذا التفسير يشكل أساس النظريات التي افترضتها الطبيعة المضادة للمجتمع لدى المجرم، وهذا التصور للسيكوباتية. له تاريخ طويل من الاهتمام، و حديثا تم التركيز على بعض المتغيرات التي تجعل هؤلاء الأشخاص يدخلون في صراع مستمر مع المجتمع مثل سوء عملية التنشئة الاجتماعية وضعف الضمير فهم غير قادرين على التعلم من أخطائهم، و لا يشعرون بالذنب أو تأنيب الضمير، هذه الخصائص تسهل القبض عليهم ولكن يصعب تأهيلهم .

3-3- نظرية التحليل النفسي : حيث قدم سيغموند فرويد " تفسيرات مختلفة للسلوك الإجرامي في إطار نظريته الشاملة لارتقاء الشخصية الإنسانية وتكاملها . و من هذه التفسيرات التي قدمها فرويد للسلوك الإجرامي، إن المجرم اخفق في ترويض دوافعه الغريزية الأولية ،أو فشل في جعلها أنماطا سلوكية مقبولة، لذلك فالسلوك الإجرامي ليس إلا تعبيرا سلوكيا غريزيا مباشر عن دوافع كامنة، أو هو تعبير رمزي عن رغبات مكبوتة، أو بمعنى آخر، فالسلوك الإجرامي هو نتيجة سوء تكييف الأنا أو الذات العقلانية وذلك بسبب ما تعرضت له الذات من صراعات حادة جرت بين الهو و الأنا الأعلى.

و هناك تفسير آخر قدمه فرويد يتمثل في أن المجرم يعاني من حاجة ملحة للعقاب لكي يتخلص من مشاعر الذنب التي نشأت من المشاعر اللاشعورية المدمرة للمرحلة الأوديبية أثناء الطفولة، فالجرائم ترتكب بحثا عن العقاب الذي يجعل المجرم

قادرا على التخلص من مشاعر الذنب التي عانى منها إذ هو يسعى إلى عقاب النفس ليحقق من وطأة الذنب التي تلازمه التي لم يجد وسيلة أخرى لحلها غير السلوك الإجرامي .

4_ النظرية السلوكية : قدم أيزنك (H.Eyzenck) تفسيره للجريمة في إطار نظريته العامة للشخصية الإنسانية في ضوء ثلاثة أبعاد أساسية مسؤولة عن قدر كبير من التباين في السلوك و هي (الانبساط، الانطواء) و (العصابية و الاتزان الوجداني) و الشكل التالي يوضح العلاقة بين الانبساط و العصبية:



شكل يوضح الاستقلال بين بعدي الانبساط و العصابية و مكان المجرمين على البعدين.

و طبقا للشكل السابق نجد أن الأشخاص المنطوين حينما يصابون بالمرض النفسي يكونون عرضة لحالات المخاوف المرضية، وعصاب القلق و الوسواس بينما يكون الانبساطيين عرضة للإصابة بالهستيريا والسيكوباتية، أو يصبحون من المجرمين، ويتسم هؤلاء الأشخاص بضعف قدرتهم على تكوين الارتباطات الشرطية و سهولة حدوث الكف لديهم، وهذا العجز عن التشريط يجعل من الصعب على هؤلاء الأشخاص تعلم القيم والمعايير الاجتماعية التي يقبلها المجتمع، بل وأكثر من ذلك ويصبحون من العائدين للجريمة، ومن المحتمل أن يفشل هؤلاء السيكوباتيون العائدون في الاستجابة لإعادة علاجهم أو تعليمهم أو تأهيلهم. (أحمد محروس الشناوي، 1994)

8- خصائص السلوك الإجرامي للجاني ومراحله:

أوضح "T.Hall" أن هناك سبع خصائص لا بد من توافرها للحكم على السلوك بأنه إجرامي و هي :

- 1- الضرر :وهو المظهر الخارجي للسلوك، فالسلوك الإجرامي يؤدي إلى الإضرار بالمصالح الفردية أو الاجتماعية أو بهما معا و هذا هو الركن المادي للجريمة.
- 2- أن يكون هذا السلوك الضار محرما قانونيا و منصوص عليه في قانون العقوبات .
- 3- لا بد من وجود التصرف الذي يوقع الضرر سواء كان ايجابيا أو كان سلبيا، و يقصد بذلك توافر عناصر الإكراه .
- 4- توافر القصد الجنائي أي وعي الفرد التام بما أقدم عليه من سلوك إجرامي .
- 5- يجب أن يوجد توافق بين التصرف والقصد الجنائي، ومثال ذلك :الشرطي الذي يدخل منزلا ليقبض على شخص ما بأمر من القاضي ثم يرتكب جريمة أثناء وجوده في المنزل بعد تنفيذ أمر القبض، فهذا الرجل لا توجه له تهمة الدخول للمنزل بقصد ارتكاب الجريمة لان التصرف و القصد لم يلتقيا معا .
- 6- يجب توافر العلاقة الفعلية بين الضرر المحرم قانونا و سوء التصرف أو السلوك حتى يمكن تجريمه، فالجاني لا يسأل عن نتيجة فعله إلا إذا كانت هناك رابطة سببية بين الفعل و النتيجة، فإذا توافرت هذه الرابطة كان الجاني مسؤولا عن نتيجة فعله، فالجاني يسأل فقط عن فعله و ليس عن النتيجة .
- 7- يجب النص على عقوبة الفعل المحرم قانونا وهذا هو مبدأ الشريعة الذي يقرر انه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص.

و ما نود الإشارة إليه في هذا السياق أن الشريعة الإسلامية هي أول من أرست هذه الخصائص أو الأركان الأساسية للجريمة بشكل واضح ولا تحتل اللبس وذلك قبل القوانين الوضعية بقرون عديدة. (محمد شحاتة وآخرون، 1994، 44-45)

ويمر السلوك الإجرامي بحسب ما ورد في قاموس علم النفس بمراحل و هي :

- 1- **مرحلة الموافقة المخففة** : حيث تولد الفكرة الإجرامية ، و تتفر بغموض أحيانا و يوضح أحيانا أخرى .
 - 2- **مرحلة الموافقة المبنية و الموضحة** : حيث يتأرجح الفرد بين الرغبة بالفعل و بين الخوف من الفعل.
 - 3- **مرحلة الأزيمة** : حيث تتم الموافقة على التنفيذ .
 - 4- **مرحلة التنفيذ** : حيث يقدم المجرم على فعلته مع كل ما تحمله من شناعة و قبح أحيانا .
- و يتم التنفيذ بعد تحقق المراحل النفسية على التوالي :

- مرحلة الأنانية .

- مرحلة السقوط.

- مرحلة العدوانية .

- مرحلة اللامبالاة العاطفية .

و حينئذ وبعد أن تتضح هذه الحالة يصبح تكرار الجريمة أمرا سهلا. (خليل وديع شكور، 1997، 23)

المراجع:

- 1- أبو عطية، سهام درويش (1997): مبادئ الإرشاد النفسي، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر
- 2- الشناوي، محمد (1994): العملية الإرشادية ، القاهرة : دار غريب للطباعة و النشر
- 3- الصنيع، صالح بن إبراهيم (1998) :التدين علاج الجريمة، ط1، الرياض: شركة الرياض
- 4- الهمشري محمد علي قطب وآخرون (1997): "مشكلة الجانحين"، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان.
- 5- توفيق عبد المنعم توفيق (1994) : سيكولوجية الاغتصاب، ط4، الإسكندرية: دار الفكر الجامعية
- 6- خوالدة، محمود عبد الله (205) : علم النفس الإرهاب، ط1، عمان: دار الشروق للنشر و التوزيع
- 7- شازال، جان (1962): "جناح الأحداث"، ترجمة: القفاص، عبد السلام، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
- 8- شحاتة، محمد وآخرون (1994): علم النفس الجنائي ، ط1، القاهرة: دار غريب للنشر و التوزيع
- 9- شكور، خليل وديع (1997) :العنف والجريمة، لبنان : الدار العربية للعلوم
- 10- عدس، عبد الرحمن (1998): علم النفس التربوي ، عمان: دار الفكر للطباعة و النشر
- 11- مصطفىاوي، محمد: <http://www.djelifa.info/vb/forumdisplay.php?s=1e775b98d253413bd163bd7acf70a4a0&f=97>
- 12- ميزاب، ناصر (2005): "سيكولوجية الجنوح: محددات-تناولات نظرية-استراتيجيات-وقاية وعلاج"، ط1، القاهرة: عالم الكتب.